

والسرجة والمباح والتنديل ما يستصبح به ، والصمام ما تسد به القوارير ، والكماب للعمل الذي ينطف المثابع والمجاري ، والشارع للسكة الكبيرة . والرائع الطريق الفيقيه بين النازل (99) ، الخ .

ونجد مثل هذه الدقة في الوصف عند كثير من كتب العربية في مختلف المصور ، ولا سيما في القرون الاربعاء الاولى بعد الاسلام ومن هؤلاء : عبد اللطيف البغدادي ( 557 هـ - 629 هـ ) فقد كان دقيقا في ملاحظته وتعبيره في رحلته الى مصر التي سماها « الانفادة والاعتبار » فقد وصف فيها بنيات مصر وحيواناتها وأثارها وصفا يبعث في الانسان الدهشة والتعجب فمن ذلك قوله في وصف البايمية : « وهنى ثمر بقدر ابهام اليدي ، كلته جراء (100) الثناء ، شديد الخمرة ، الا ان عليه زبرامشوكا » ، وهو مخصوص الشكل ، يحيط به خمسة اضلاع ، فاذا شق عن خمسة ابيات بينها حواجز وفي تلك الابيات حب مصطف ، مستثير ابليس اصغر من اللوبيا ، هشن ، يضرب الى الحلاوة ونحوه تبض ولعيبة كثيرة (101) .

بهذا الاسلوب البسيط الدقيق في كلماته وصف البغدادي في رحلته هذه ستر ما شاهده في مصر من النبات والحيوان ومعالم العمارة والأثار القديمة وإنما كانت دقة الوصف من استعمال اللفاظ المطابقة لمعانها الدقيقة في دلالتها .

وهذه الخاصة الوظيفة للغة التي استخدمها كتاب العربية خير استخدام ، جعلت علماء الصحافة والاعلام يذهبون الى ان الجاحظ — وهو من كتاب القرن الثالث المجري — بان يكون اول مخفي ممتاز او انه عاش في القرن الذي نعيش فيه . يقول الدكتور ابراهيم امام : (102) « يمكن النظر الى ادب الجاحظ في مجموعة على انه ادب توفر فيه الكثير من خصائص الفن الصحفى لقدر كان الجاحظ رجلا شديد الاتتماس فى المجتمع ، وهو في الوقت نفسه غزير الاتساع الى درجة تفت النظر ، وانتاجه وثيق الصلة بالافكار في تلك البيئة العباسية من دين وسياسة وثقافة وعادات

تصلح ان تكون اداة للاعلام العربي في مواجهة التقدم الفنى المائل ، وانطلاق وسائل الاتصال بالجماهير .

ذلك ان العربية قد اصبت في عصور الانحطاط بفرض العلوم والمفهوم والابهام ، كنتيجة لافتقار وظيفتها المادفة في هذه العصور ، فضاعت الفروق الدقيقة بين اللفاظ المتقاربة غدت متراوفة وكثير استعمال « اللفاظ في المعانى المجازية وصرفت عن معانها الاصيلية فضاع النker بين الحقيقة والخيال وزالت الخصائص المميزة والفرق الناصلة واصبح لكل موضوع مما تكررت تلك التناقض او عرض ذلك الموضوع ماذا كان الموضوع وصف حقيقة او تعزية مصدق او التعبير من فرح او طرب لم يتغير الكلام ايا تنقل وتتحقق كلما تكررت تلك المناسبة او عرض ذلك الموضوع ماذا كان المناسبة او صفات حقيقة او تعزية او التعبير من فرح (98) . وفي ذلك مثل لخصائص اللغة العربية ومزاياها الاعلامية من ابراز المقومات والزيارات الخاصة والدقائق الخفية .

على ان اللغويين ايام ازدهار اللغة ، كانوا يدركون هذه المزية من المزايا العربية ، فعنوا بابراز الفروق بين اللفاظ في مؤلفات خاصة لكتاب الفروق « لابس هلال العسكري وابواب الفروق من كتاب ادب الكتب لابن قتيبة والقسم الاول من « فقه اللغة واسرار العربية » للشعابي .

كما كان كتاب العربية ، يحرصون على هذه المزية الاعلامية في لفتهم ، فيضعون اللفاظ في مواضعها ويحرضون على دقة التعبير ، فكان الجاحظ يستعمل اللفاظ التي تتخصص مطلولاتها بها لا تتناول سواها يقدر ما تسمح له اللغة بذلك ماذا نظر الله او اداة او طعاما او لباسا او شيئا من هذه الاشياء المادية ذكرها باسمائها الخاصة وفرق بهذه التخصص بين انواعها المختلفة فمن ذلك الشبوطة والجوانفة والشابة لضروب من « السمك » والجمفريه لضرب من المفنن ،

(98) محمد المبارك : خصائص العربية من 62 .

(99) محمد المبارك : من القصص في كتاب النجاة للجاحظ — من : 38 .

(100) جراء جميع جرو الصفار من كل شئ .

(101) عبد اللطيف البغدادي في مصر . مطبعة المجلة الجديدة بالقاهرة — من : 20 .

(102) دراسات في الفن الصحفى — من : 33 .